@ 286 @ صدقه ونبوته ولكنهم يجحدون عنادا منهم وظلما والآية على هذا لا تتناول جميع الكفار بل تخص الطائفة التي حكى عنها أنها كانت تقول إنا لنعلم أن محمدا صادق ولكن إذا آمنا به فضلتنا بنو هاشم بالنبوة فنحن لا نؤمن به أبدا رويت هذه المقالة عن أبي جهل ومن جرى مجراه وحكى النقاش أن الآية نزلت في الحارث بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف فإنه كان يكذب في العلانية ويصدق في السر ويقول نخاف أن تتخطفنا العرب ونحن أكلة رأس والمعنى على قراءة من قرأ يكذبونك بتخفيف الذال يحتمل ما ذكرناه أولا في يكذبونك أي لا يجدونك كاذبا في حقيقتك ويحتمل هذين الوجهين اللذين ذكرت في يكذبونك بشد الذال وآيات ا علاماته وشواهد نبيه محمد صلى ا عليه وسلم و ! 2 2 ! حقيقته في كلام العرب الإنكار بعد معرفة وهو ضد الإقرار ومعناه على تأويل من رأى الآية في المعاندين مترتب على حقيقته وهو قول قتادة والسدي وغيرهما وعلى قول من رأى أن الآية في الكفار قاطبة دون تخصيص أهل العناد يكون في اللفظة تجوز وذلك أنهم لما أنكروا نبوته وراموا تكذيبه بالدعوى التي لا تعضدها حجة عبر عن إنكارهم بأقبح وجوه الإنكار وهو الجحد تغليظا عليهم وتقبيحا لفعلهم إذ معجزاته وآياته نيرة يلزم كل مفطور أن يعلمها ويقربها .

قال القاضي أبو محمد رضي ا عنه وجميع ما في هذه التأويلات من نفي التكذيب إنما هو عن اعتقادهم وأما أقوال جميعهم فمكذبة إما له وإما للذي جاء به .

قال القاضي أبو محمد وكفر العناد جائز الوقوع بمقتضى النظر وظواهر القرآن تعطيه كقوله ! 2 2 ! وغيرها وذهب بعض المتكلمين إلى المنع من جوازه وذهبوا إلى أن المعرفة تقتضي الإيمان والجحد يقتضي الكفر ولا سبيل إلى اجتماعهما وتأولوا ظواهر القرآن فقالوا في قوله تعالى ! 2 2 ! إنها في أحكام التوراة التي بدلوها كآية الرجم وغيرها .

قال القاضي أبو محمد ودفع ما يتصور العقل ويعقل من جواز كفر العناد على هذه الطريقة صعب أما أن كفر العناد من العارف با وبالنبوة بعيد لأنه لا داعية إلى كفر العناد إلا الحسد ومن عرف ا والنبوة وأن محمدا يجيئه ملكمن السماء فلا سبيل إلى بقاء الحسد مع ذلك أما أنه جائز فقد رأى أبو جهل على رأس النبي صلى ا عليه وسلم فحلا عظيما من الإبل قد هم بأبي جهل ولكنه كفر مع ذلك وأسند الطبري أن جبريل عليه السلام وجد النبي صلى ا عليه وسلم حزينا فسأله فقال كذبني هؤلاء فقال إنهم لا يكذبونك بل يعلمون أنك صادق ! 2 ! 2 والذي عندي في كفر حيي بن أخطب ومن جرى مجراه أنهم كانوا يرون صفات النبي صلى ا عليه وسلم ويعرفونها أو أكثرها ثم يرون من آياته زائدا على ما عندهم فيتعلقون في مغالطة

أنفسهم بكل شبهة بأضعف سبب وتتخالج ظنونهم فيقولون مرة هو ذلك ومرة عساه ليسه ثم ينضاف إلى هذا حسدهم وفقدهم الرياسة فيتزايد ويتمكن إعراضهم وكفرهم وهم على هذا وإن عرفوا أشياء وعاندوا فيها فقد قطعوا في ذلك بأنفسهم عن الوصول إلى غاية المعرفة وبقوا في ظلمة الجهل فهم جاهلون بأشياء معاندون في أشياء غيرها وأنا أستبعد العناد مع المعرفة التامة